المحاضرة(٢٧)القضاءعلى الشرك(فتح مكّة - غزوة حُنين - غزوة الطائف - البرآءة من المشركين):-

١-فتح مكّة المكرّمة: لما اضطربت العلاقة بين الرسول(ص) ومشركي قريش ، فانضمت قبيلة خُزاعة الى معسكره(ص) فيما انضمت قبيلة كنانة الى معسكرالشرك ، وشاء الله أن تتهيأ ظروف النصر الكبير حين نشب الصراع بين القبيلتين ، فهجمت كنانة بعد أن انضمَّ اليها مشركوا قريش على خُزاعة ، وبهذا فقد نقض مشركي قريش معاهدتهم مع الرسول ، فطلبت خزاعة النصرة من الرسول فأجابها على الفور ، مُجهزاً جيشاً قوامه(عشرة آلاف مقاتل) مستخدماً السريّة التامّة في تحركه لمباغتة عدوّه ومُحاصرته ، ومن جهة أخرى فقد عزم الرسول(ص) أن يفتح مكّة المُكرَّمة دون أراقة الدمآء وأزهاق الأرواح وتسليم مشركي قريش دون قيد أو شرط ، وقد تم له ذلك ، فقد تمكن من بلوغ مكّة المكرّمة ومحاصرتها دون علم مشركي قريش ! وهنا خرج العبّاس بن عبد المطّلب من مكّة المكرّمة متوجّها الى المدينة المنوّرة ليلتحق بجيش الرسول(ص) أثنآء الطريق فأنه كان قد أوكل اليه دوراً مهماً في عملية فتح مكّة ، وحينما وصل الجيش الاسلامي مشارف مكّة فقد عمد الرسول(ص) الى ارعاب مشركي قريش وتخويفهم وذلك بإشعال النيران فوق جبالها وتلالها؛ إضافة الى حمل كل مُقاتل منهم ناراً بيده في شريط طويل على الأرض ، وهنا بدأ دور العبّاس الريادي ليؤدي دوره لصالح الطرفين ، فيُقنع مشركي قريشاً بعدم المقاومة حيث أخبرهم بقوة المسلمين وعددهم ومحاصرتهم المطبق لمكّة المكرّمة ؛ وأصطحب معه أبوسفيان ليطلب له ولأهل مكّة الأمان من الرسول الأعظم(ص) فأجاره عند وصوله والتفت اليه قائلاً له:(**... ألم** يأن لك أن تعلم بانّي رسول الله ؟ فقال أبو سفيان : أما والله فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئاً ! فغضب العبّاس من عناده وحذّره من ذلك قائلاً له: أسلم؛ وأشهد **أنْ** الاّ إله الاّ الله **وأن محمّداً رسول** ، **قبل أن** يُضرب عنقك ، فشهد شهادة الحق وأسلم ودخل في عداد المسلمين ، وعندها أمر الرسول عمَّه العبّاس أن يحبس - أبو سفيان بمضيق - الوادي عند خطم الجبل لانه غير مأمون الجانب حتى تمرّ به جنود الرسول فيراها ليفزع ويرعوي ! حتى يتم فتح مكّة المكرّمة ، وفي اليوم التالي دخل الرسول(ص) مكّة المُكرَّمة ووقف على بابها ، وقال: (الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصرعبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل دم أو مأثرة أو مال يُدعى فهو تحت قدميّ هاتين - أي أنه ألغى جميع **مناصب الكعبة السائدة في الجاهلية** - إلاّ سدانة البيت وسقاية الحاج)) ثم اتجه الى أهل مكّة وهو يكسر الاصنام و يحمد الله ، وبالرغم من مؤامرات أبي سفيان الخبيثة وزوجته اللئيمة وأعمالهم القبيحة ، وعدآء مشركي قريش تجاه الرسول والمسلمين طيلة السنوات الماضية ، **إلاّ أنّ الرسول الأعظم أعلن العفو** العام عن أهل مكّة ، **قائلاً:** ألا لبئس جيران النبي كنتم ، لقد كذّبتم ، **وطردتم ، وأخرجتم ، وآذيتم** ، ثم ما رضيتم **حتى جئتموني في** بلادي(المدينة المنوّرة) تُقاتلونني ، أذهبوا فأنتم الطلقاء[1] ، وهكذا انهار صرح الشرك ، وبذلك فقد **حطّم رسول** (ص) **أعظم حصون** الكفر والجاهلية بعد صراع عنيف سُفكت فيه الدمآء الزكيّة ، وسُلبت به الأموال من دون حق دام أحدى وعشرين سنة ، وبذلك إستقرَّت الدولة الاسلامية في شبه جزيرة

---

(١) البيهقي ؛ أحمد بن الحسين بن علي الخراساني (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦م) **السنن** الكبرى ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ط ٣/ بيروت - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م : ح ١٧٧١٤ كتاب السيّر – اجماع ابواب السير باب فتح مكة المكرمة .

العرب وتحقق الفتح المبين ، وأقام رسول الله(ص) فيها مُدَّة اِسبوعين [1] فنظَّم أوضاعها ، ثم استعمل ـ أي أمَّرَ ـ عُتاب بن أُسيد أميراً على مكَّة المُكرَّمة ، ثم غادرها مُنصرفاً عنها وكان ذلك في السنة الهجرية الثامنة [2] .

٢ـ معركة حُنين: بعد فتح مكّة المكرّمة غادرها رسول الله(ص) الى المدينة المنوّرة ، فأستقر بها خمسة عشر يوماً ، ولمّا بلغه ما أقدمت عليه قبيلة(هوازن) بمساعدة قبيلة(ثقيف) ، زحف عليها بأثني عشر ألف مقاتل ، لكن هوازن أتخذت مواقعها على قمم جبال حُنين وعند مُضيق الوادي ، وقد كان لحماس الرسول (ص)قائلاً:(أنا النبي لا كذب ـ أنا أبن عبد المطّلب) والمدد الغيبي [3] الأثر الكبير لبسالة المسلمين فانهزمت هوازن شرَّ هزيمة ، وأُسر منهم أربعة آلاف مُقاتل ، وغنم المسلمون أثني عشر ألف ناقة ، وغنائم كثيرة أُخرى[4] وبعد انتهاء المعركة أطلق رسول الله سراح الأسرى بناءً على طلب رؤساء القبائل المهزومة بعدما أعلنوا اسلامهم[5] ، وكان عدد شهداء المسلمين أربعة نفر[6] .

٣ ـ معركة الطائف: ولمّا وصل الطائف أحكمَ المسلمون الحصار حولها ، فاستسلمت قبيلتا هوازن وثقيف ، وراحتْ جموعهم تعتنق الأسلام ، وبعدها أنصرف الرسول عائداً الى المدينة المنوّرة منتصراً ظافراً [7].

٤ـ أعلان مشروع البرّاءة من المشركين: في موسم الحج للسنة الهجرية التاسعة ، نزل جبرائيل على الرسول (ص) مع آيات من سورة التوبة ، وقد تضمنت الغآء كل آثار الشرك والمشركين عند البيت الحرام وخصوصاً الذين قدموا لأداء موسم الحج على طريقتهم الجاهلية! ، فأمر الرسول علياً ، فسار الى مكّة ووقف بمنى في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة الحرام مبلغاً اِنذار الرسول الى أسماع الحجيج بعد أن قرأ الآيات الأولى من سورة التوبة؛ منادياً بأعلى صوته: (لاتدخل الكعبة اِلاّ نفس مؤمنة ، ولايطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله(ص) فعهده الى مدّته ، ومن لم يكن له عهد فأجلهُ أربعة أشهر [8] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الامم و الملوك : ١٢٥.

(٢) الواقدي ، السيرة و المغازي : ٨٨٩ .

(٣)سورة التوبة (٩) : الآية ٢٦ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى :١٥٢/٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الامم والملوك :١٣٢ .

(٦) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي :٥٢ .

(٧) ابن هشام ، السيرة النبوية :٤٣/ ١٢٦.

(٨) ابن هشام ، سيرة ابن هشام : ٤٣/١٩٠، ينظر : الطبري ، تاريخ الامم والملوك :١٥٤/٣ ، للمزيد ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ :٢٩١/٢ .